ABRAHAM LINCOLN --- THE SEER

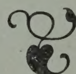
By

EMANUEL HERTZ

AN ADDRESS DELIVERED OVER

W O R

FEBRUARY 12th, 1925

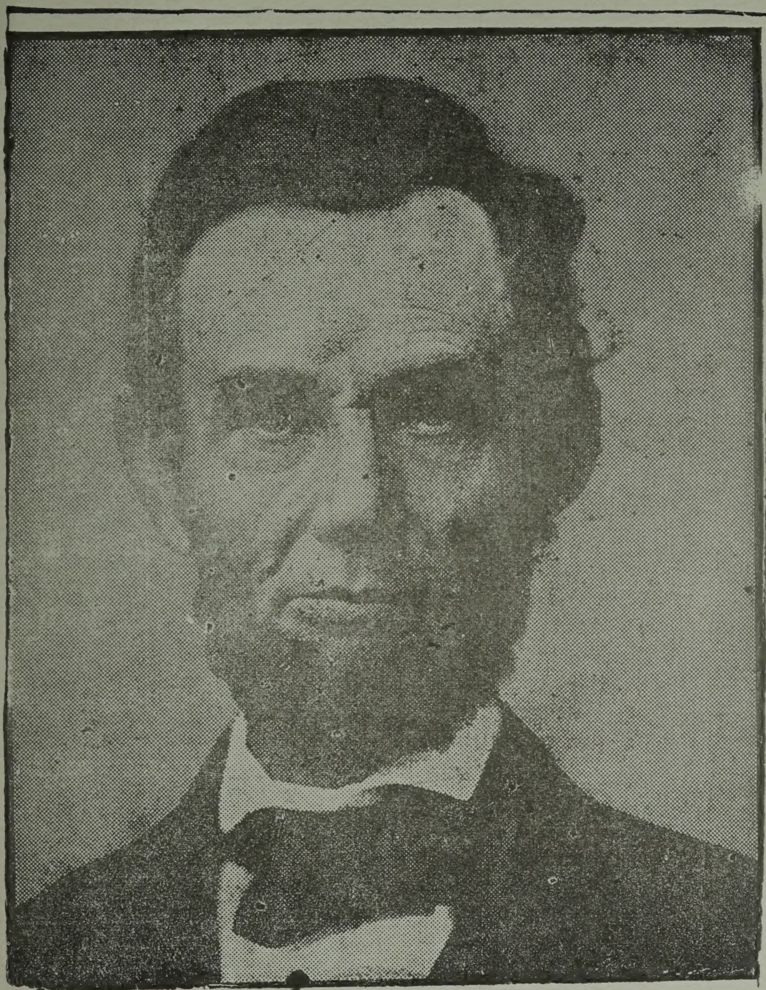


ابرهيم لنكلن ـــ الرائي

بقلم عمانوئيل هرتز

خطاب القي وحمله الموّاج «الرديو»

في ١٢ شباط سنة ١٩٢٥



ابرهيم لنكلن

أشهر صورة في بيوت الامريكيين

ابرهيم لنكلن ـــ الرائي

للاستاذ عمانوئيل هرتز

من اي وجه نظرنا الى مآتي ابرهيم لنكلن في اثناء تلك السنوات الست من صيف سنة ١٨٥٨ الى ربيع سنة ١٨٦٥ لا نجد بداً من الاتفاق معه هو نفسه حينما اسرّ لنفر من اصدقائه باعتقاده انه مندوب من السماء لقضاء مهمته المحيّرة· فمن جميع رجال زمانه ـــ وهو جيل لا يضاهى بكثرة الزعماء والسواس ـــ لم يكن وحده الذي عرف سبب الشر العظيم الذي اوقع الشقاق بين الشمال والجنوب · ولكنه هو وحده الذي عرف كيف تحلّ القضية · ومنذ بدء الجمهورية كانت القضية عندنا · وحاول المؤسسون اجتنابها · وقد قال جفرسون وهو انموذج لنكلن من بعض الوجوه

قول القانط ان الاسترقاق هو الصخرة التي يتحطم عليها الاتحاد· ومن ثم كان عهد المداولة والمصانعة والنقض من سنة ١٨٢٠ـ ١٨٦٠ ولكن المباحثات في هاتيك السنين لم تأت بثمرة· ولم يكن اي واحد من اولئك السواس في الشمال والجنوب قادراً على المجيء بحل· واخيرا ظهر لنكلن دون ما انتظار · وفي مداولتين او ثلاث مداولات عامة اوضح القضية العظيمة للبلاد كلها · جاء شرقاً · وفي كوبريونيون قد لخص كل فلسفة الخلاف العظيم بطريقة استطاع فهمها الجميع واذاع برنامج الحزب واشار الى المنهاج الوحيد·والحزب الذي كان يتألف حينئذ قد رأى البرنـامج الوحيد وزعيمه الذي لا ينازع · ثم رفع لنكلن الى المنصب السامي بعاصفة هوجاء من الاصوات الشمالية · ومن حين تبوئه كرسي الرئاسة الى حين وفـاته

كان نصب عينيـــه على الدوام القصد الرئيسي بل القصد الوحيد من حياته العظيمة وهو صيانة الاتحاد · ولم يكن ابداً اي زعيم سياسي او قائد حربي اكمل استعداداً او اوفر اهلية من لنكلن · وكانت القضية واضحة لنظره لا يعتورها غموض وقد فكر فيها ملياً من كل وجه · فقد صرف الشطر الاكبر من حياته في التأمل معتزلاً وفي التأهب الفكري والمادي للمهمة الجسيمة · وهكذا كانت اهبته تامة معنوياً ومادياً من البداية الى النهاية · وقد اظهر في محاوراته مع دوغلاس ان آفة الاسترقاق لا يجوز السماح بانتشارها · بل يجب حصرها ضمن حدود قانونية وان تبقى هناك الى ان تضمحل · حتى ولو شرت الحكومة الرقيق الاخير للحرية ·

وقد سحق خصمه الوحيد بمنطقه ودفع جانباً

جميع المرشحين الاخرين وفاز بالانتخاب • ومع ان الحكومة العاجزة ان لم نقل المغفلة في اشهرها الاخيرة قد سمحت بانحلال الاتحاد التدريجي فقد تصرف هو تصرفاً جعل الجنوب الفريق المعتدي بمهاجمته الاتحاد واطلاق النار على الراية • وبذلك كهرب الشمال المتمزق وشدّ اواصره • وغلّ ايدي دعاة الالغاء والمتطرفين الذين كانوا متأهبين لتضحية الاتحاد والقانون الاساسي او بالحري «اطرحهما في جهنم» بحماستهم لاعتاق سريع • ولكن لم يوءثر على تدابيره اصدقاء الاتحاد او الانفصاليون او دعاة الالغاء • وفي الوقت نفسه كانت الحرب العظمى الى ذلك الوقت من اعبائه • وتحدق به جوقة من الخائنين والجواسيس والذين كانوا يشعرون مع الجنوبيين • أحاطوا بالجيوش وتوغلوا في دوائر الحكومة حتى توصلوا الى

اعمق دخائلها . وكان عليـه ان يجيش جيوشاً ويوجد بحريات ليكافح اعظم قادة عصره وينظم اعظم حصار في التاريخ. وان يشتري ذخائر حربية بمقادير لم يسمع بمثلها الى ذلك الحين . وكان عليه ان يشتري معظم ما يحتاج اليه من الخارج بعد ان سبقه وكلاء الجنوب باشهر لشراء مثلها. وكان عليه ايضا ان يتولى الادارة السياسية ليمنع ارستواقراطية انكلترا التي اصابت ثروة جسيمة من قطن الجنوب بتدبير غلادستون من الاعتراف باستقلال الجنوب. وان يسدد خطى العـالمين سيوارد وادمس في معاملاتهما مع انكلترا كي لا يوجد لها عذر تتوق اليه لتعترف بالجنوب ان لم يكن للحرب .

أتسألون عن الشجاعة ؟ عن الاعتدال ؟ عن المقدرة ؟ عن بعد النظر ؟ ان تلك المزايا لم يكن

منها قط لبشري اكثر مما اظهره لنكلن في اثناء حادثة ترانت التي بدت كأنما هي بداية النهاية. فقد ارتفع صراخ الفرح من كل قسم في الشمال. وكانت الصحف والمنابر والسواس جميعهم راغبين في اعتقال المندوبين المعتقلين وتمجيد الربان الذي امسكهم. ولكن رأى لنكلن ان الحق بجانب انكلترا في هذا الامر – للمرة الاولى في نصف قرن – وهو هو وحده كان له شجاعة ليعيد هوءلاء ويسلمهم الى انكلترا. وله لا لسيوارد الفضل في انقاذ مبدأ الشمال في ذلك الحادث الخطير. وهو هو الذي حمل كل التبعة. فرأى فيه مواطنوه مرة اخرى الزعيم الحقيقي الوحيد في البيت الابيض

وكيف كبح جماح غريلي وزمرة الحربيين في ذلك الحين وهم كانوا يضجون طالبين التحرير

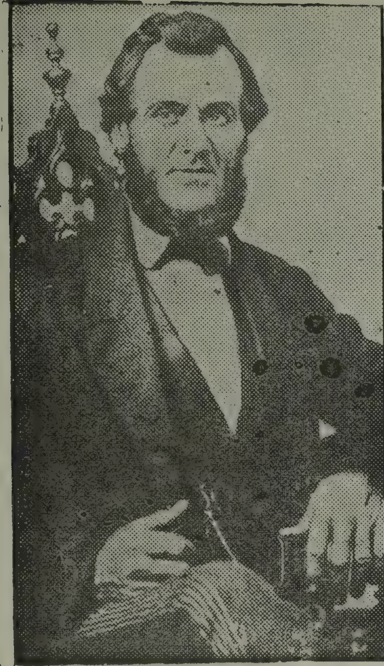
العاجل الى ان حم الوقت الذي رأى انه الوقت الملائم لاصدار منشوره الخالد • وحينما اصدره كانت ولايات الحدود قد انحازت الى الاتحاد وارتبطت بمبدأه بجيوش واستحكامات لا تغلب• وعندئذ اصدر منشور التحرير على مسؤوليته وحده وقد قال ذلك •

ثم وجد خطيباً ملساناً في هنري وورد بيتشر الذي اقنعه اولاً بانه «اي لنكلن» كان مصيباً • ثم اقنعه بوجوب السفر الى الخارج واقناع انكلترا المسيحية بمناصرة مبدأ الحرية والوقوف بجانب الاتحاد • وقد صادف بيتشر في بادىء الامر ضجة شجب من العمال والارستوقراطيين في انكلترا فقد ابوا ان يصغوا اليه • وفي آخر الامر عدلوا عن ذلك الى الحفاوة العظيمة به بعد ان تغلبت عليهم روح لنكلن وفصاحة بيتشر فتحولت انكلترا عن

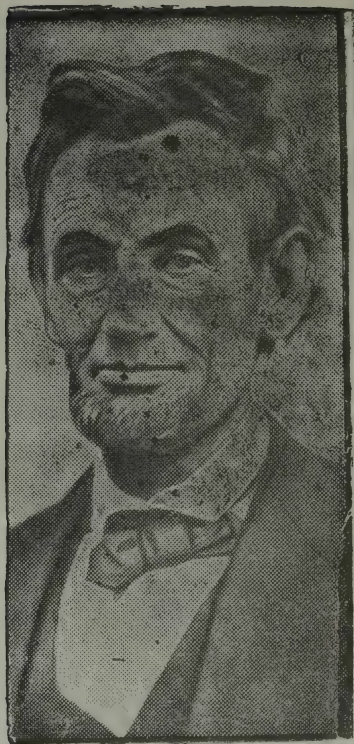
خطة الانانية والحماقة لتأييد مبدأ الانسانية والحرية . فلقد اوضح لنكلن لانكلترا بواسطة بيتشر ان امامها طريقين فقط ـــ الانحياز الى الشمال او الجهاد لاستمرار العبودية . ولم تستطع انكلترا في عهد جان برايط الاّ اختيار واحد من هذين وهو جانب لنكلن .

واذ تمت وحدة الشمال واذعنت انكلترا و كشف الغطاء عن ثعابين السياسة وسحقت روءوسها بقوة منطق لنكلن التي لا رحمة فيها وبرسائله الجلية وخطاباته المفحمة حوّل اهتمامه الى اعظم ميادين القتال والى مائة ساحة وغى . اما تفوقه على جفرسون داڤيس المتكبر المغرور فلا نزاع فيه الان على ان هذا كان واسع الاطلاع في الشوءون العسكرية ويعرف كل من لهم شأن من رجال الجندية . فهو اما قد عرفهم في مدرسة وست بوينت او التقى بهم

في الحرب مع المكسيك او حينما كان ناظراً للحربية ٠ الاّ انهم لا نفع منهم ٠ ودارس الطبيعة البشرية الداهية قد أحسن اختيار اعوانه تمام الاحسان لادارة الحركات الجندية في خطوط الاتحاد الحربية المتناهية في الطول حتى ان عبقرية لي او جونصون او لونغستريت لم تكن تنفع طويلاً ٠ واليه ـ اليه وحده يرجع الفضل في ظهور المونيتور في زمان ومكان الحاجة القصوى اليه ٠ فانقذ لنكلن مبدأ الاتحاد مرة اخرى ٠ وكان داڤيس ونظارته ينتظرون في كل لحظة ان يقضي الماريماك القضاء المبرم على الشمال ٠ وينتظرون جباية الجزية على المدائن الشمالية في الساحل الاتلنتيكي ولكن ربّان مسيسبي عرف اريكسون جيد المعرفة ٠ فعاونه وشجعه وحثه على اكمال المونيتور ٠ وهنا انقذ الرئيس الموحى اليه والاسوجي



يمثل هذا الرسم ابراهيم لنكلن ايام كان
عضوا فى مجلس الامة



هذا رسم اخر لابراهيم لنكلن وقد اخذ حين
انتخابه لرئاسة الولايات المتحدة وهو
من اشهر رسومه

الباسل مبدأ الاتحاد مرة اخرى . لنكلن وحده من سائر الرجال. انظروا براءته وقد كان لها نحو عشرين سنة من قبل في مكتب البراآت تقتنعوا بان هذا الرجل معيّن من القدرة الالهية لذلك المركز - قيادة سفينة الحكم في العاصفة الهائلة.

كيف طلب جيوشاً فاحرزها وكيف ضبط عنان مجلس امة ثوري وكيف نظم كل الامور ليعمل عمله . وهو انقاذ الاتحاد . ان هذا كله موضوع سفر لم يكتب بعد . ونحن الآن بادئون فقط في ادراك عظمة هذا الرجل

لقد مدّ ذراعه الطولى فوصلت الى ڤيكسبرغ وجلب غرانت الى الامام وعين شرمن وشريدان لمركزيهما في الجيش . ومع هذا كله كان لـه متسع من الوقت ليكتب وثيقتين خالدتين احداهما الخطاب الذي يحيا الى الابد وهو ابلغ خطاب في

اربع وعشرين مائة سنة • هذا اذا استطعنا ان نقابل خطاب باريكلس بخطبة غتيسبرغ • اما الثاني الذي يسمو به ثانية الى اوج عظمته فهو خطبة تنصيبه الثاني وهي افضل وثيقة رسمية كتبها رئيس بعد ان جدد انتخابه بالاجماع ليكمل ما بدأ به • وهو وقاية الاتحاد واعلآء بنيانه •

وبضربات قلائل وشداد من ايدي اعوانه وصل الى ابوماتوكس • وكان التنظيم يرافق حركاته كما هي الحال في كل تدابيره الاخرى في الدور العظيم الذي مثله حيث تجلّى تفوقه للعيان فابصره الصديق والعدوّ على السوآء • وترآى لهم ان «تيتان» جبارا قد ظهر من بين قومهم • وعندئذ ارتسم في مخيلات القاصي والداني كم كان خصومه حقيرين وصغاراً – هم جماعات سيمور وڤالادنهام وفرنادو وودس الذين حاولوا

ازعاجه لانهم تعذر عليهم احباط مساعيه التي لم يكن منها مناص تقريباً في سيرة حياته . وفي ذلك الوقت بدأوا يدركون استعداد هذا الجبار التام لمهمته وتدابيره الفعالة والشديدة لتحقيق الغايات المعينة له . ثم رأوا انه لا يبالي بحزب ولا بمذهب . فقد اختار معاونيه من كل قسم في الاتحاد ولم يبال ما اذا كانوا اصدقاء له او من مناهضيه . فاذا كانوا اصدقاء ويعجزون عن القيام بواجباتهم اليومية فانه لا يدعوهم وفي حادثة هرندون الناقم شاهد صادق . واما الاعداء فقد دعاهم دون مبالاة بشكاستهم ومجاهرتهم بالعداوة والذم له . وجرّهم الى الخدمة وابقاهم فيها مدة الحاجة اليهم قابضاً عليهم بيد من حديد . ومن الشواهد على ذلك حادثة ستانتون الصخاب والمتكبر الاّ انه قدير . وحادثة شايس الحاسب والرقيق

الاحساس • وانظروا كيف جلب الى جانبه رجالاً مثل صمتر واندرو • وكلاهما كانت السياسة تعني عندهما ما كانت في عهد وبستر ومع ذلك ارشدهم وسيطر عليهم وكانوا قبل ذلك بوقت قصير ينظرون اليه بما يقرب من الازدراء • ومتى تأملنا انه حتى الشبان في زمانه صاروا رجالاً عظماء ــ والشواهد شرمن وبلاين وكونغلنغ وهايز وغارفيلد ولوغان • وهوءلاء قليل من كثير وقد اصبحوا اعلام حزبهم في السنين التالية ــ نبدأ ان نعرف كم كان هذا الرجل عظيماً وحكيماً وموحىً اليه • وكان في خمسة ايام قبل وفاته السابقة لاوانها محسوباً من الجميع ينبوع كل حكمة وكل سياسة رشيدة • الاب ابرهيم قد جاء الى شعبه • هذا رجل الاخلاق ــ هذا رجل الاحزان • هذا الرجل الصامت الذي لم يأتمن على سرّه احداً ولم يطلب مشورة

من احد في القضايا العظيمة التي كافحها وعالجها وحلّها ـ الاب ابرهيم الذي جلس في قدس اقداس قلوب شعب حر٠ والذي صار معبود جيش عائد الى وطنه والنصر معقود على لوائه ٠ مناط رجاء الجنوب وصديق الجنوب الاعظم ٠

كيف نستطيع وصف سياسي القرن التاسع عشر هذا العجيب والعديد المناقب والمآثر ٠ من وجد وقتا لكل شيء واطلع على كل شيء وعرف الشؤون الحربية والسياسية والاجتماعية في سائر اراضيه المترامية الاطراف ولم يعرفها مثله أحد ٠ وكيف انه منذ يوم جمعة الحزينة المشؤوم سنة ١٨٦٥ الى يومنا هذا نرى جوقاً من السواس والجنود والمؤلفين والمؤرخين والشعراء والوعاظ والصحافيين ورؤساء الكليات والتجار والمتمولين والشبيبة برمتها في هذه البلاد تكرم نفسها بدرس

سيره حياة هذا الرجل الخطير ومآتيه وتصريحاته وحكاياته وعفوه ورسائله · ان كل قطعة ورق من اوراقه وكل سطر كتبه وكل حرف هي ثمينة فتدخر كتذكار مقدس لتلك المزايا السامية وتلك النفس العظيمة ·

ان الرئيس السادس عشر قد اصبح المثال الدائم لجميع خلفائه فلا يطمح احد منهم باعلى مما وصل اليه · ولا مديح لاي سياسي او رئيس اعلى من ان يقال انه يقتفي خطوات لنكلن · ولو كان لنكلن هنا في هذا الوقت ماذا كان يفعل او يقول؟ ذلك هو السوءآل الابدي لكل ذي فكر سديد من الامريكيين · واين تقدرون ان تجدوا رجلاً آخر في التاريخ ظهرت من اجله وحوله كتابات ادبية بهذا المقدار في هذه الستين سنة · لا اعتذارات ولا ايضاحات عن ذنوب او التواءات في المنصب

العالي • بل كان في عهده همة ماضية ومقاصد سامية واعمال منجزة لا مثيل لها • وهل اخشى ان ارمى بتهمة الغلوّ عندما اقول دون ان أرى المحرر العظيم ودون ان اخاطب هذا الامريكي الاول والاكبر • ودون ان التقي من أبناء عهده الذهبي بواحد رآه وسمعه وابصر كيف يعيش ويتكلم ويعمل ويحرّر ويوحّد ويصون ويصلح شؤون هذا الاتحاد • انه النبي العظيم والرائي العظيم المعيّن من السماء ؟ وهل من حاجة للاشارة الى ذلك العضو الامين والمنصف من اعضاء نظارته وهو غيدون ويلس الذي دوّن بامانة مثل بوسويل آخر المعجزات التي صنعها زعيمه العظيم • لم يخطر ببال ويلس ان يحلّ محلّ لنكلن • ولم يكن يضمر حسداً ولم يقل مطلقاً « لو كنت رئيساً » وكان ويلس اول من رأوه في مجاله الواسع وفي كل

مجد عقليته الفائقة وفي كل جلال روءياه النبوية.

رأى ويلس وسمع وآمن . اما الاخرون فقد تمهلوا الى ان غربت شمسه فكانوا مثل يعقوب القديم الذي صرخ حينما استفاق في الصباح قائلاً « حقاً ان الرب حاضر في هذا المكان ولم اعرفه » وهكذا اولئك الرجال قد قالوا بعد ان خبا نوره « حقاً كان هذا رجل الله ونحن لم نعرفه » ولكن ويلس رآه وآمن به وسيبقى ما كتبه الى ان تبلى الاوراق التي دوّن فيها تاريخه الذي لا يقوَّم بثمن المنار الهادي لجميع الذين بدأوا يتذكرون اقوال لنكلن التي تشبه الاقوال النبوية وقد بدت اولاً مثل معميات

فقد بدأ القاضي داڤيد داڤيس يذكر بعد وفاة لنكلن قوله عن نفسه انه معيّن من السماء

لمهمته . وبدأ سيكلس يذكر مناجاة لنكلن مع خالقه عندما كان الاتحاد مشرفاً على الموت في غتيسبرغ والمندوبون في بلومنغتون تذكروا عندئذ ان لنكلن تكلم كرجل موحى اليه . والذين سمعوا خطابه في كوبريونيون قد اقتنعوا بانه ليس في طاقة بشري آخر ان يلفظ مثل خطابه سنة ١٨٦٠ وسامعوه في غتيسبرغ وفي حفلة التنصيب الثاني واليوم الذي ظهرت فيه النجمة في منتصف النهار فوق الكابيتول حينما القى لنكلن اعظم خطاباته السياسية قد رأوا فيه ايضا الرسول السماوي لانقاذ الاتحاد وصونه وتجديده بعد ان فرطت الحرب عقده . حتى ان ستيڤان فيلسوف الجنوب وسياسيه ولي وداڤيس بدأوا يرون في لنكلن الانسان الممتاز وصاحب المواهب الخارقة . نعم ان هذا الرجل الذي كان له متسع من الوقت

لكل شيء وله جلد ليصغي الى كل مقدّم عريضة وكل ادعاء وكل شكوى والذي عرف كل ساحة قتال واطلع على كل قضية سياسية وحالة في البلاد وعرف كل ما كان يجري في وطنه وفي الخارج وعنده كلمة تعزية وسلوى للجميع والذي حمى قلبه الكبير الضعفاء والحزانى والمضطهدين والمشجوبين • هذا ما كان قلب ونفس وفكر وعين الرائي الذي لمس اللهيب السماوي شفتيه وهو هو المرسل من ادغال الفلوات الغربية الحارة ليناهض ويسحق فراعنة الاسترقاق ويحطم الصنم بقدمين من صلصال وينقذ وطنه المصطف للقتال ويعيد اليه السلام وهو رجاء العالم الاخير العظيم ويجعل ساكنيه من الرجال والنساء احراراً متساوين لهم فرص للمعيشة والقيام بالمهمة المعهودة لكل فرد عندما نفخت نسمة الحياة في انوفنا جميعاً حين

دخولنا من حالة التكوين الى الاعجوبة التي تدعى حياة ·

